الآنسة نون

مجموعة قصصية

مريم توركان

الإهداء

إلى المُتألماتِ في صمت، المُحارباتِ في ضعف، الواهنات القويات، اللاتي يُعانينَ دونَ أنْ يُنظَرَ لمُعاناتهنَّ بِعَينِ الرحمة.

إلى اللاتي لا يعلم كم يتحمّلنَّ من الآلام النفسية والجسدية بصفةٍ شهرية إلَّا الذي خلقهُنَّ.

إلى المُهدَّدة أحلامهنَّ بالأمومة.

إلى رفيقاتِ الحُزن، مُتجرعاتِ مرارة الصّبر.

إلى مريضات بِطانة الرَحِم المُهاجرة.. لا تحزنَّ أنتُنَّ مُميّزات، وإنَّ اللَّهَ على شفائكم لقدير وهو بِكُنَّ رحيم.

مريم توركان

الفهرس:

1_فُرصة

2_صدمة

3_النقود هي الوقود

4_حياة مطيرة

5_الآنسة نون

6_كفاح أرملة

7_الغُلام والنّجمة

8_صبَّارة

9_خادمة ولكن

1_(فُرصة)

جلستْ على الأريكةِ لتُشاهد التلفاز مِثل كُلّ يوم، ولكنَّها لم تستمتع بالمُشاهدةِ هذهِ المرّة؛ حيثُ قَطَعَ مُشاهدتها جرس الباب، ذهبتْ لتَرى مَن الطارق؟

فإذ بهِ رَجُلًا يَحمِلُ بيدهِ باقة ورد واليدِ الأُخرى هدية قيّمة، سألها: هل هذا هو منزل دكتور رُشدي وضّاح؟

أومأتْ بالإيجاب، فأردف قائلًا: وهل الدكتور هُنا أم بعيادته؟

رَدَّتْ رويدا: هُنا وأكملت، تفضل بالدخول.

فدخل دونَ تردُد، ذهبتْ هي لتُخبر أباها الذى أمرها بتقديمِ نوعًا من الشرابِ للضيف، ففعلتْ، ثُمَّ عادتْ لمُشاهدةِ التلفاز مرّة أُخرى بعدما قَابَلَ أباها الضيف.

وأثناء مُشاهدتها غَضِبَتْ لرؤيةِ مَشهدٍ يحكي قصّة حبيبينِ تزوجا من فترةٍ قصيرة؛ إلَّا أنهما قد دخلا دائرة النكد الزوجى... إلى آخره، فغضبت لذلك؛ لِمَا ينتابها من زيادةِ عُقدتها من الزواج عُقدًا كثيرة.

سَمِعَتْ رويدا صوت أباها مُحدِّثًا الضيف: دعني يومين كي أتمكن من الرَدِّ عليك.

رَدَّ الضيف: حسنًا.. حسنًا، لقد فَهِمت حتّى تُشاورَ عروسنا في الأمر، أُوافقكَ الرأي ولا أُريدُ الإستعجال بالردّ، فلكَ ما شئتَ من الوقت.

أوصل الدكتور الضيف إلى الباب وودّعه: مع السلامة.

ذهبتْ رويدا لتنام وقبلَ أنْ تغفو رأتْ أباها عند رأسها يُحَدِّثها بصوتٍ حنون: أأنتِ نائمة رودي؟

رويدا: كنتُ سأدخلُ في النومِ لولا مجيئُكَ إليَّ أبى، أتُريدُ شيئًا؟

دكتور رُشدي: كُنتُ أودُّ الحديثَ معكِ في موضوعٍ ما، ولكنَّكِ ستنامينَ الآن، فتُصبِحينَ على خير، وغدًا إنْ شاء اللَّه نتحدّث.

رويدا: وحضرتك من أهلهِ أبتى.

على دّقاتِ العاشرة صباحًا اِستيقظتْ رويدا من نومها وأثناء تناولها الإفطار مع أبيها دارَ الحوار:

دكتور رُشدي: رودي ألا ترغبينَ في الزواج؟

رويدا فى صوتٍ تشوبهُ العصبية: لا أبى.

دكتور رُشدي: ولِمَ؟

رويدا: تفاديًا لِمَا يَحدُثُ بينَ المتزوجين.

دكتور رُشدي: وما هو؟

رويدا: نكدٌ وشِجارٌ لأتفهِ الأسباب.

دكتور رُشدي: بُنيّتي النَّاس مُختلِفونَ ولا يُشبهونَ بعضهم البعض؛ كما أصابعكِ كذلك.

رويدا: الحقُّ معكَ أبى، ولكنَّني أخشى الزواج؟

دكتور رُشدي: وما الذى جعلكِ هكذا؟

رويدا: ما سَمِعتهُ من صديقاتي أصابني بعُقدٍ نفسية.

دكتور رُشدي: وما الذي سمعتينهُ؟

رويدا: سَمِعتُ شِكايتِهنَّ من أزواجِهنَّ وسوء المُعاملة.

دكتور رُشدي: حبيبتي، ألم أقُلْ لكِ أنَّ النَّاسَ مُختلفين.

رويدا: بلى، ولكنْ ما دخلُ هذا بموضوعنا؟

دكتور رُشدي: دخلُ هذا بموضوعنا أنَّ أحدًا أتى لخِطبتُكِ.!

رويدا: ومَن هو أبى؟ أقصدُ.. ماذا؟

دكتور رُشدي: الضيفُ الذي زارنا البارحة، بالمُناسبة كيف ترينه؟

رويدا: يبدو خَلوقًا وأنيقًا ووسيمًا ولكنْ أبى....

دكتور رُشدي مُقاطِعًا: ما لكنش ولا حاجة، خُذي وقتكِ وأعطي عقلكِ فرصةً ليُفكّر، واللي فيهِ الخير يُقدّمهُ اللَّه.

سأذهبُ إلى العيادةِ كي لا أتأخر على المرضى، مع السلامة ثمرةُ فؤادي.

ذهبَ دكتور رُشدي إلى عمله، وظلّتْ رويدا تُفكّر فيما أخبرها بهِ أباها: "حبيبةُ أبيها أنتِ بضعةٌ منّي وأحبُّ إليَّ من نفسي، لذا لا بُدَّ وأنْ تتزوجي رودي؛ كي أفرح بكِ وأطمئنّ عليكِ، ولولا أنَّ المُتقدّمَ لخِطبتُكِ مناسبًا لَمَا فاتحتُكِ فى الموضوع أصلًا، اسمه: هشام عبد اللَّه،

مؤهل عالي: بكالوريوس هندسة الجامعة الأمريكية، شابٌّ خَلوق، مؤدب، ووسيم ويتمنّى رضاكِ، قد رأكِ عِدّةَ مرّاتٍ فسأل عنكِ وأتانا يُريدُكِ زوجةً له".

وبعد تفكيرٍ عميقٍ دامَ لثلاثةِ أيَّام، حدّثتْ رويدا نفسها قبلَ أنْ تردّ على أبيها: ولِمَ لا أتزوج ويُصبِحُ لديَّ أبناء كَسائرِ صديقاتي اللاتي سبقنني في الزواج؟

كنتُ في الماضي أرتكنُ لحُجة الشهادة الجامعية والعمل بها، وهانذا قد تخرّجتُ وأعملُ شهادتي، وقد كَبُرَ سِنّي وما زالتْ لديَّ فُرصة؛ لأُعوّضَ ما فاتني، فلِمَ التردُد والخوف؟

وكما علّمني أبى فالنّاس ليسوا سواسيةً في طَبائعهم ومشاعرهم، وأخلاقهم وسلوكياتهم، وكما قِيل "الفُرص لا تُعوَّض" و"الوقت كالسيف إنْ لم تقطعهُ قطعك".

والآن حانَ الوقت لأُعطي أبي الردّ الذي يُفرحهُ ويُسعد حياته.

تُرى قُرّائي الأعزَّاء ما هو الردّ الذي ستقولهُ رويدا لأبيها؟

المُخيلة لكم.....

2_(صدمة)

عندما أتخرّج من الجامعةِ سأعملُ بشهادتي، بهذهِ الكلمات طمئنَ مجدي والدتهِ التي طالما عانتْ وتحمّلتْ لأجله، ولكنَّها أخبرتهُ بأنَّ أحد أقربائهِ تخرّجَ ولم يجد عملًا يَليقُ بشهادته، أنكرَ مجدي ما قالتهُ والدته إنكارًا شديدًا مُضيفًا: سأُثبِتُ لكِ عندما أتخرّج أُمّي، والتي أردفتْ: بُنيّ صدِّق ما أقول.

مجدي: طالما هذا هو الحال فلماذا يتعلّم الشباب؟

ولِمَ ضّحيتِ من أجل تعليمنا؟

الأُمّ : بُنيّ ليسَ كُلّ مَن يتخرّج لا يعمل أو العكس؛ فهُناكَ مَن يعمل بشهادتهِ وهُناكَ مَن يعمل بدونها، وهُناكَ مَن يتعلّم لتُكتَب لهُ شهادته في إثبات الشخصية؛ كي يحترمهُ النّاس ويُقدرونه، أمَّا عن تضحيتي فقد فعلتُ ذلك وعانيتُ من أجله؛ كي تُرفع مكانتكم بالشهادة إنْ لم تَعملوا بها أنتَ وإخوتك.

مجدي: أُمّي لا داعي لإستباق الأحداث، وسأعمل بشهادتي، ألكِ حاجة أُمّي؟

الأُمّ: سلامتُكَ أُريد بُنيّ.

أغلقَ مجدي هاتفهُ ونامَ ليستيقظ على صوتِ صديقهِ دياب قائلًا له: مجدددددددي استيقظ لقد تأخرت على الجامعة.

تناولا مجدي ودياب إفطارهما ثُمَّ ذهبا سيرًا على الأقدامِ إلى الجامعة؛ حيثُ لم يتمكنا من دفع أُجرة المواصلات.

أخذا يتحدّثانِ أثناء سيرهما فكان الحوار:

دياب:آهٍ آه، متى سنُرحم من هذا السير؟

مجدي: ليسَ كثيرًا، فقط ثلاثةُ أشهرٍ ونتخرّج.

دياب: وبعد؟

مجدي: ماذا تعني بهذهِ الكلمة؟

دياب: أعني وبعد التخرّج ماذا سيحدث؟

مجدي: طبعًا سنعملُ بشهاداتنا وترتفع مكاناتنا في المجتمع.

دياب بصوتٍ ساخر: باللَّهِ عليك، أحقًّا ما تقول؟

مجدي: ولِمَ لا ما دُمنا نحمل شهادات.

دياب: دعنا من هذا الخيال، فقد وصلنا.

ذهبَ مجدي لكُلّية التجارة ودياب لكلية الآداب.

مرّت الثلاثة أشهر وامتحنا مجدي ودياب وهما الآن في إنتظار النتيجة.

رنَّ هاتف مجدي، أخذهُ بيدٍ مُرتعشة؛ نتيجة التوتر العصبي الذي يسبق الإمتحان ونتيجته.

مجدي: آلو، صباح الخير طمّني يا سلمان؟

سلمان: أنتَ مؤمن وقدّرَ اللَّهُ وما شاء فعل، مجدي بعد أنْ كاد يغضب:ماذا تقول؟

ماذا حدث؟

سلمان أوضح لي.

سلمان: طِيلة السنوات الماضية وأنتَ تجتاز الإمتحان بإمتياز ولكن....

مجدي مُقاطعًا: لكن هو في لكن، سلمااااااااان.

سلمان: تشّجع وتثبّت للأسف يا مجدي _بعد أنْ كاد يُغشى عليه _ طلعت الأوّل على الدُفعة بتقدير جيّد جدًا، مبرووووك وعقبال التعيين.

مجدي: الحمدُ لِلَّه.. الحمدُ والشُكر للَّه، بارك اللَّهُ فيكَ ولا حرمني منكَ يا أحلى سلمان فى الدُّنيا.

دياب: الف الف مبروك يا أخي.

مجدي: اللَّه يبارك فيك، وأنتَ دياب ألم يتصل أحدًا ليُخبرك بالنتيجة؟

دياب: وبعدما يتصل، سأعرفها حينَ أذهب لسحب الملف.

مجدي: لا تَكُن متشائمًا سيُرضيك اللَّهُ كما السنوات الماضية.

دياب: إن شاء اللَّه، دعكَ منّى المُهم أنتَ ماذا ستفعل؟

مجدي: أُحضّر نفسي لأكونَ معيدًا.

دياب: أأخبرتك الجامعة؟

مجدي: لا، لم تخبرني ولكنَّني سأذهبُ إليها؛ كي أعرف ماذا سيحدث؟

دياب: ألم أقل لكَ من قبلُ أنَّكَ خيالي؟!

مجدي: وما الداعي لتذكُّر تلك الكلمة؟

دياب: لأنَّك لو واقعي لذهبتَ إلى الشركات والبنوك بحثًا عن عمل.

مجدي: أليسَ عملي كَمُعيدٍ يُعَدُّ كافيًا؟

دياب: أليسَ معكَ في هذهِ الدُفعة بهاء ابن عميد الكلية؟

مجدي: بلى، ولكنَّهُ ليسَ بكفائتي، دياب ماذا تقصد؟

دياب: دع الأيَّام تُريك قصدي.

وبعد أيَّامٍ ذهبَ مجدي إلى الجامعة، ليُفاجأ بتعيين بهاء بدلًا منه؛ صُدِمَ مجدي صدمةً فقدَ على إثرها النُطق ومن ثَمَّ الكلام، ذهب مُغادرًا إلى البيت، وعندما وصل وطرق الباب فتحتْ لهُ والدته؛

ليسقط على الأرض مَغشيًا عليه، حاولتْ إفاقته ولكنَّها لم تستطع، فطلبت الإسعاف والتي نقلتهُ إلى المستشفى.

أخبرها الطبيب الذي فحصهُ بأنَّهُ أُصِيبَ بصدمةٍ نفسية أفقدتهُ النُطق وأردف مطمئنًا لها: سيشفيهِ اللَّهُ ويعود كما كان مع مرور الوقت.

تذكّرَ مجدي كلام دياب: دع الأيَّام تُريك قصدي، فتبسم إبتسامة مكلوم مليئة بالحزن والألم، وأخذ يُحدّثُ نفسه: بعد الشفاء سأبحثُ عن عملٍ بعيدًا عن الشهادة؛ كي أُريح أُمّي وليطمئن إخوتى، وستكون حِكمتي في الحياة "صنعةٌ تُطعمني ولا شهادةٌ تُعطلني".

بعضُ النّاس قد يتخطى الصدمات، ما دام قادرًا على إيجاد البدائل، وما دامت الصدمات هيّنة، ولكن عندما تُصدم في واقعك فلن تتخطاها أبدًا؛ ما دامَ واقعكَ كما هو حينَ صُدمتَ فيهِ ولم يتغيّر.

3_(النقود هي الوقود)

كثيرًا ما نجد شخصًا من الطبقةِ المُنعدمة، وإذا وجدناهُ سمعنًا مِنهُ عجبًا عُجاب، وهو يقول: الحمدُ لِلَّهِ على كُلّ حال، معدن رضا، وبداخلهِ يشكو إلى اللَّهِ مرارة عيشه؛ فهو مؤمنٌ بأنَّ الشكوى لغير اللَّهِ مذلة، حتّى إذا ظلمهُ أحدٌ أو سبَّه وتطاول عليه، سمعتهُ يقول: اللَّه يسامحك.

ذهبَ عم عبده إلى حيثُ يعمل، فإذا بصاحب العمل يقول لهُ: عبده عَلاَمَ تُتعِب نفسكَ بالمجيء، اِذهب إلى حيثُ جئت؛ فقد أُحيلتَ للمعاش.

أخذ عم عبده ينظر إليهِ ثُمَّ قال لهُ: كيف تُحيلني للمعاشِ ولم أتجاوز السن القانوني له؟

رَدَّ عليهِ صاحب العمل بغطرسةٍ: ومَن أنتَ كي تُجادلُني فى قرارٍ اتخذته؟

ما أقولهُ هو أمرٌ لكَ واجب النفاذ والآن إذهب للخزينة ومن ثَمَّ إلى حيثُ جئت.

ذهبَ عم عبده محوقلًا "لا حول ولا قوّة إلَّا باللَّهِ العليّ العظيم" وبعدما أخذ حقَّهُ حزن؛ إذ لم يكن بالوفيرِ بالنسبةِ لفرَّاش.

غادرَ مُتجهًا إلى البيت مناجيًا ربَّه: يا حلّال العُقد يا ربّ فرّجها وأنتَ ربُّ الفرج، أعنّي على تربية أبنائي وأرزقني بأرزاقهم يا ربّ.

وصلَ عم عبده بيتهُ وما إنْ وصلَ ناداهُ أحد بَنيه: بابا عايز يونيفورم زي أصحابي.

عم عبده: حاضر يا ابني.

دُهشت زوجهِ من قدومهِ مبّكرًا سائلةً عن السبب؟

عم عبده: ما حصلش حاجة.

لم تتركهُ أُمّ مُحمّدٍ حتّى أخبرها بفصلهِ من العمل، وهُنا ولولتْ..
وهدأها زوجها ،ثُمَّ قامت وحضّرت الطعام وأخذت تُناديهِ وأبنائها.

تجمّعوا جميعًا وتناولوا الغداء ومن ثَمَّ ذهبَ عم عبده ليستريح قليلًا؛ قبلَ أنْ يذهب لإيجاد عملٍ آخر رُبما في البنوكِ والشركات والمكاتب.... إلى آخره،

عساهُ أنْ يجد عملًا.

اِستيقظ على صوتِ المؤذن وهو يؤذن لصّلاةِ العشاء ظانًا أنَّها صّلاة العصر؛ إذ قال لزوجه: أُمّ مُحمّدٍ لماذا يؤذن العصر مبّكرًا اليوم؟

أُمّ مُحمّد: صحي النوم يا عبده، الظاهر راحت عليك نومة، دي صّلاة العشاء يا ابو محمد.

عم عبده: إيه؟

بتقولي إيه؟

صّلاة العشاء يا للأسف الشديد!

أُمّ مُحمّد: عبده ما لك؟

عبده: لا شيء سوى ضياع اليوم، كنتُ أودُّ البحث عن عملٍ قبل إنقضائه.

أُمّ مُحمّد: لا تُحمّل نفسكَ ما لا تُطيق، والحمدُ لِلَّهِ على صّحتك وعافيتك، وعن فصلك من العمل فقدّرَ اللَّهُ وما شاء فعل، وعن إيجاد عمل فلا تحمل همًا فالذي كفاكَ ما فات سيكفيك ما هو آت.

قضى عم عبده ليلته راضيًا آملًا في اللَّهِ أنْ يجد عملًا.

وفي الصباح ذهب عم عبده للبحثِ عن عمل، ظلَّ هكذا أيَّامٍ وأيَّام حتّى أوشكتْ نقودهُ على الإنتهاء؛ حينها وجدَ عم عبده عملًا ليسَ بالمُريح، عملٌ صعبٌ وشاق لمَن هُم في مِثلِ سِنّهِ، عامِل في إحدى البنزينات.

عمل عم عبده وتحسنت حاله وحمد اللَّهَ ودعاهُ أنْ يحفظَ لهُ عمله؛ كي يُكمل مسيرته مع أبنائهِ من تربيةٍ وتعليمٍ وإعطائهم حقوقهم، فسعادةُ الأسرة مطلَبُ كلُ ربّ.

رُغم قِلة نقودهِ إلَّا أنَّهُ لم يبخل عليهم بشيءٍ وهكذا كانتْ أيَّام عم عبده بعد حصولهِ على عملٍ يضمن لأسرتهِ استقرارها.

يا للعجب من هذهِ الدُّنيا!!

فالدُّنيا مِثل السيّارة تمامًا، والفرقُ أنَّ السيّارةَ تعملُ بالوقود "البنزين"، وإنَّما الدُّنيا تعمل ب

النقود هي الوقود.

4_(**حياة مطيرة**)

في سبعينياتِ القرنِ الماضي تحديدًا في صعيدِ مصر؛ حيثُ الصّبر والقوّة والعادات والتقاليد.

عديلة كفاكِ عملًا، ألا تَرينَ بطنَك؟!

ألم تعلمي أنَّكِ في شهركِ التاسع وأوشكتْ ولادتُك؟

عديلة: أعلمُ ولكنْ ماذا أفعلُ بلال؟

أأتركك تعملُ وحدك؟

بلال: هيّا لنذهب من هُنا.

عديلة: إلى أين؟

بلال: إلى بيتنا لترتاحي بعض الوقت.

وفي الطريقِ تغيّرَ الطقس فهبَّت الريح، وانهمرتْ السماء، أثناء ذلكَ توجّعتْ عديلة وكأنَّ بُنيّها يُريدُ الخروج.

أسرعا حتّى وصلا بيتهما، وإذ بعديلة تتأوه وتبكي؛ فقد جاءها المَخاض، أخذ بلال يُفكّر ماذا يفعلُ في الطقسِ البارد هذا؟

تركَ زوجهِ وذهبَ ولم يتأخر عليها؛ إذ رأتهُ وقد أتاها بالقابلة (الداية) أُمّ سيّد، جهّز بلال للداية ما طلبتْ ثُمَّ خرجَ لينتظر بالخارج؛ حتّى تأتيهِ بالبشرة.

المطر يزيد والرياح تَقوى وعديلة تارةً تبكي وتارةً تُولولُ على نفسها، وبين هذا وذاك بلالٌ يبكي مُناجيًا ربّهُ أنْ يُخرجها سالمة من هذهِ الولادة، حتّى أَذِنَ اللَّهُ لها فوضعتْ بُنيّة جميلة.

فَرِحَ بها بلال أيُّما فرحٍ وأسمياها مطيرة؛ نسبةً للطقسِ الذي وُضِعَتْ فيه.

مرّت الأيَّام وكَبُرتْ مطيرة وقد أتقنت فِلاحة الأرض، ولِمَ لا وأبواها خيرُ معلمينِ لها في هذهِ المهنة.

ذات يوم وأثناء عمل مطيرة رأتها جارتهم في الحقلِ المُجاور، وقد أتتْ لحاجةٍ ما عند أُمّ مطيرة، نسيت حاجتُها وأخذت تسأل أُمّ مطيرة عن ابنتُها وهي تُحمّلق بها ومطيرة لا تُلقي لها بالًا.

وبعدَ أيَّامٍ أتتْ الجارة وابنها _اليتيم_ لخِطبةِ مطيرة بُناءًا على موعدٍ مُحَدَد.

أبا مطيرة: تفضلا.. تفضلا ، حللتما أهلًا ووطئتما سهلًا، يا أُمَّ مطيرة... يا أُمَّ مطيرة.. هلمّي إلينا.

أُمّ مطيرة: ها قد جئت، مرحبًا بحبيبتي أُمّ معروف.

أُمّ معروف: مرحبًا بكِ أُمّ مطيرة.

أُمّ مطيرة: قد أتتنا الأنوار.

أُمّ معروف: أنارَ اللَّهُ قلوبكم، قد جئناكم خاطبينَ ابنتكم مطيرة لابني معروف؟

أُمّ مطيرة: زينُ الشباب معروف، والرأيُ لأبيها.

أبا مطيرة: مصاهرتكم شرفٌ لنا، ولكنَّ الرأي رأي العروس.

أُمّ مطيرة لتُنادي على العروس.

أُمّ مطيرة: كما تشاء أبا مطيرة.

وجاءت العروس مُزيَّنةً بالحياء تتقدمها أُمّها وقد أحضرتْ نوعًا من الشرابِ كَبدايةِ خير.

جلستْ مطيرة لجوارِ أبيها بعدما ألقت السلام على أُمِّ معروفٍ وابنها، أخذَ معروف ينظرُ إليها وتنظر هي إليه.

وبعدَ أيَّامٍ خُطِبَت مطيرة لمعروفٍ في جَمعٍ من الأقاربِ والجيران.

وبعدَ عامٍ تزوجت مطيرة من حبيبها معروف في حفلٍ شُرِحَتْ لهُ الصدور.

وبعدَ شهرينِ من الزواجِ ظهرت عليها علاماتُ الحمل، وتأكد فرحهما هي ومعروف بعد الفحص الطّبي.

مرّت الأيَّام ووضعت مطيرة طفلها الأوّل وكانتْ سعادتهما لا تُوصف؛ ظلَّ معروف فَرِحًا بطفلهما الأوّل حتّى وضعت لهُ مطيرة طفلهما الثانى، بعد ميلاد الأوّل بخمسِ سنوات، ووضعت ووضعت حتّى أصبح لديها أربعةً من الذكورِ دونَ الإناث، وأدخلتهم هي ومعروف مجال التعليم جميعًا.

لم يَكُن لديهم سوى البيت الصغير الذى يجمعهم، وقطعةُ الأرض التي استأجرها معروف ليستطيع الإنفاق عليهم؛ إذ لم يَكُن مُتعلّمًا كما مطيرة.

وفي ظلَّ هذهِ الظروف العصيبة ماتَ والدهم؛ نتيجةً لحُمى أصابته، فحزنت مطيرة على فراقهِ حزنًا شديدًا؛ إذ تركها وأبناءها لا يزالونَ صغارًا.

لم تستسلِم مطيرة لَمَا ألَّم بها؛ فظلّتْ تعمل بجهدٍ وتُعاني لإيصال أبنائها لَمَا أرادتْ هي ومعروف رَحِمَهُ اللَّه.

وقد كان؛ فبعدَ تعبِ الأيَّام ومرور الأعوام، وضعف البدن وتحمُّل المشّقة ومُرافقةِ العناء، تخرّجَ أبناؤها من الجامعة، سوى أصغرهم والذي زيَّنت بحضورها حفله، قائلةً في كلمتهِ التي أهداها لها: الحمدُ

لِلَّهِ الذي أعانني وجعلني أُحققُ حلمي فى تربيةِ أبنائي وتعليمهم، ورعايتهم خيرُ رعاية، ورَحِمَ اللَّهُ رفيق دربي وحبيبي زوجي الغالي معروف.

5_(الآنسة نون)

نعيشُ الآن عصر إزدهار العِلم؛ حيثُ التقنيات الحديثة والتقدُّم الهائل في التكنولوجيا، وهذهِ هي القوّة التي يُمكن للدولِ التسلُّح بها؛ إذ لا تُضاهيها قوّة، نعم، فالقوّة الحقيقية تَكمُن في أعلى الجسد، في الرأس؛ حيثُ العقل الذي هو مصدر كُلّ جديد، ما دامَ ناشطًا غيرُ عاطلٍ عن العمل، ومع ذلكَ فهُناكَ أُناسٍ يعيشونَ في ظلِّ التقدُّم الهائل للعِلم، والتقنيات الحديثة المُستَخدَمة فيه، بعقلية ما قبل إختراع الحاسوب.

نووووووووون.. أينَ انتِ بُنيّتي؟

نون: ها قد أتيتُ أُمّي بعدما أنهيتُ تحضيري لحصصِ الغد.

أُمّ نون: لا حرمني اللَّهُ صوتكِ، أُريدُ إخبارِكِ بأنَّ عمّتكِ ستأتي غدًا هي ورحيم؛ لتناول العشاء، فحاولي ألَّا تتأخري.

نون: وما شأني؟

أُمّ نون: نون تعلمينَ ما أقصد.

نون: ولكنْ أُمّي....

أُمّ نون مُقاطعةً: حاولي ألَّا تتأخري.

نون: كما تُريدينَ أُمّي.

أُمّ نون: حسنًا، سأُخبِرُ أبيكِ ليُعدّ نفسهُ لزيارةِ الغد.

وفي الصباحِ ذهبتْ نون إلى المدرسةِ دونَ إفطار؛ للحاق بحصة الحساب والتي تتقدّم جدول حصص هذا اليوم، لهذهِ المدرسة الابتدائية؛ التي عُيّنَت بها نون كَمُعلّمةٍ لتلك المادة.

دخلت نون الفصل وبعد إلقاء التحيّة على الأطفال، أخذتْ تكتب على السبّورة بعض المسائل الحسابية المُقررة على هذا الصّف الأوّل الابتدائي، أثناء ذلكَ سقط إصبع الطباشير من يدها؛ وكادت أنْ تسقط هي، لولا إتكاؤها على كُرسيٍ قريبٍ منها، وأخذتْ تتأوه مُمسكةً بأسفل بطنها، شعرَ الأطفال بالخوفِ إزاء مُعلّمتهم؛ ممّا دَفَعَ أحدهم للذهابِ لمكتبِ المُدير والمُلاصق لفصلهم، بعد لحظاتٍ أتى التلميذ بصُحبةِ المُدير ومعهُ المُعلّمة إسراء؛ لرؤية زميلتها.

المُدير: أستاذة نون ما بكِ؟

نون بصوتٍ باكٍ مُتألم: أشعرُ بالتعب.

إسراء مُسُّرةً لنون: نون أنزل عليكِ الحيض؟

نون بصوتٍ لا يكاد يُسمع:أجل.

إسراء مُسُّرةً للمُدير: سيادة المُدير نون مُتعَبة ولن تسطيع إكمال اليوم؛ فهل تأذن لها بالعودة للبيت؟

المُدير مُسِرًا لإسراء: ممّا تشتكي؟

المُدير بعدما أخبرتهُ إسراء: أستاذة إسراء إصحبيها إلى البيت، وأنتِ أستاذة نون في إجازةٍ مرضية من الآنِ وحتّى ينقضي عذركِ.

نون بعد أنْ كاد يُغشى عليها: شكرًا سيادة المُدير.

أوصلتها إسراء البيت ووعدتها أنْ تأتيها في وقتٍ ما.

أُمّ نون: ما بكِ بُنيّتي؟!

نون وقد خارت قواها: الحيضُ أُمّي جعلني أموتُ وجعًا!

أُمّ نون وقد اِحتضنتها: آهٍ نون، كيفَ تحيضينَ قبل موعدُكِ باسبوعين؟

ولماذا كُلّ هذا الألم؟

نون: أُمّي شكيتُ إليكِ ألمي مُذ أوّل حَيضة نزلتْ عليَّ ولكنَّكِ أخبرتيني بأنَّ جميع الفتيات يشعرنَّ بما أشعرُ به، أُمّي أنا لم أعُد أحتمل.

أُمّ نون: أجل بُنيّتي، ومَن مِنّا لا تشعر بألمِ الحيض؛ فهذه طبيعتُنا.

نون باكية ومتوجّعة: أُمّي ليستْ طبيعتُنا؛ فزميلاتي يقضينَّ أيَّام حيضهنَّ كما لم يحضن، ولا يتغيبنَّ عن العملِ كما ابنتُك، أُمّي ليسَ طبيعيًا أنْ أقضي أيَّام حيضي بدورةِ المياه؛ لكثرةِ وغزارةِ طمثي، بالإضافةِ لقيئي وغثياني، أُمّي ليسَ طبيعيًا أنْ تُشلَّ رجلاي؛ لتشنجٍ

أصابهما، أُمّي ليسَ طبيعيًا أنْ أُحقن بالمسّكناتِ دونَ ن جدوى، أُمّي ليسَ طبيعيًا أنْ يكونَ حيضي عذابًا لي.

أُمّ نون بصوتٍ حنون: إذن ما العمل بُنيّتي وقد اِقترب موعد الضيوف؟

نون: أُمّي باللَّهِ عليكِ لا تُحدّثيني في شيءٍ كهذا؟

فأنا لا أقدر على الوقوف، فكيف لي بمقابلتهم؟!

أُمّ نون: بالتحمُّل، تحاملي على نفسكِ بُنيّتي؛ كي تمضي الليلة على خير.

نون: باللَّهِ لا أقدرُ أُمّي.

أُمّ نون: إذن ماذا أفعل نون؟

نون: أخبريهم أنَّني مريضة.

أُمّ نون: ماذا، ماذا تقولين؟

أجُننتِ نون؟

أُخبرُ مَن يريدُ خِطبتُكِ بأنَّكِ مريضة!!!

أيُرضيكِ أنْ يلحقَ بنا العار؟!

نون: بالطبعِ لا يُرضيني أُمّي، فقط أُريدُ الذهاب لطبيبة النساء؟!

أُمّ نون: هكذا إذًا، ألم أقُلْ لكِ اِنسي هذا الأمر؟ أم أنَّها عادتُكِ كُلّ حيض، أنتِ تتدللين.

نون مندهشة: أنتِ مَن تقولينَ هذا أُمّي؟!!

أُمّ نون: كيفَ تذهب بِكرٌ لطبيبةِ النساء؟!

وماذا سيقول النَّاس عنّا؟

وهل سيتقدّم أحدٌ لخِطبتُكِ بعد الذي قلتِ؟ وماذا سيفعل أبيكِ إن عَلِمَ بقولكِ؟؟

نون باكية: أُمّي باللَّهِ عليكِ.

أُمّ نون: إلتزمي الصمت، فمثلكِ لا يُسمع لها، أتظنّينَ نفسكِ صغيرة؟

أفيقي آنسة نون؛ فأنتِ الآن فى الثانية والثلاثين من عمركِ،
أتفهمين؟؟!

نون: أُمّي.

أُمّ نون: قُضيَ الأمر.

أخذتْ نون تُناجي ربَّها؛ كي يرحمها من مجيء عمّتُها وابنها رحيم.

فسبحانَ اللَّه!

ولأنَّ اللَّهَ أعلمُ بحالها؛ فإذ بصُدفةٍ قدرية تُعيقهما عن المجيء؛ حيثُ تَمَّ نقل راجيةإلى المستشفى _الابنة الوحيدة لعمّتها وشقيقة رحيم ونصفه

الثاني_ إذ جاءها المَخاض، فذهبتْ إليها أُمّ رحيم وابنها، ومِن ثَمَّ إعتذرا عن الميعاد طالبينَ تأجيله للاسبوع القادم.

فرحت نون حينَ عَلِمَتْ بالخبر من أُمّها.

حضَّرت أُمّ نون العشاء ليحيى زوجها ووالد نون، وبعدما انتهيا من تناوله، سألها عن نونٍ فأخبرتهُ بقصّتها، ما جعلهُ يهرول نحو الأعلى؛ حيثُ غُرفة نون، ثُمَّ طرق الباب.

نون: مَن الطارق؟

يحيى: صديقكِ نون!

نون مُبتسمة: تفضل بالدخول أبي تفضل.

دلفَ يحيى وجلس لجوار ابنته محدُّثها في عطفٍ: قطعةُ قلبي ما بكِ؟

نون بعدما اغرورقتْ عيناها بالدموع: أموتُ وجعًا أبي.

يحيى وقد احتضنها باكيًا: لا أحياني اللَّهُ ليومٍ كهذا بُنيّتي، لا عليكِ فسيُعافيكِ اللَّهُ عمّا قريب.

نون أتستطيعينَ مُساعدتي فى إيصالكِ للسيارة؟

نون في دهشة: ولِمَ أبي؟

يحيى: لدينا زيارة لطبيبة النساء، أتُمانعين؟

نون في سعادة: أحقًّا ما أسمعُ أبي؟!!

يحيى: وعينُ الحقِّ بُنيّتي.

أثناء ذلك، دخلت أُمّ نون الغُرفة.

يحيى: ندى ستأتينَ معنا أم ماذا؟

ندى: إلى أين؟

يحيى: إلى طبيبة النساء.

ندى مُذبهلّة: لا آتي ولن تذهبا.

يحيى: ولِمَ أُمّ نون؟

ندى: لا يصّحُ لنا فِعلٌ كهذا؛ فنَحنُ نعيشُ في قرية، مبدأيها العيبُ والعار، ولا يحقُّ مُخالفة ذلك، ثُمَّ لا تُقلق نفسك؛ فستعود خيرًا ممّا كانتْ بعد انقضاء الحيض، هي هكذا مُذ حاضتْ مُنذُ الثامنة عشر من عُمرها.

يحيى غاضبًا: كيف تجرؤينَ على قولٍ كهذا؟ فهذه بضعتي، وثمرةُ فؤادي، كيف لي أنْ أتركها بحالٍ كهذه؟!

يكفي انشغالي عنها بعملي خارج مصر، كما أنَّ أهل القرية لا يُراقبوننا؛ كي يعلموا بذهابنا لطبيبة النساء أو غيرها.

أردفت أُمّ نون: وماذا ستقول لأختك أُمّ رحيم؟

يحيى بعد نظرة مُطمئنة لنون: سنؤجل هذا الموضوع لحين تعافي ابنتي وحينها تفعل هي ما شاءت، وستوافق أُختي أُمّ رحيم؛ فهي لا تردّ لي كلمة، أمَّا عنكِ فسامحكِ اللَّهُ على إهمالُكِ لبضعتكِ نون.

العيبُ أُمّ نون يكمن في تقصيرنا بحقِّ فتياتنا اللاتى هُنَّ أمانةٌ في رقابنا، وأمَّا العار ففي تمّسُكنا بأخطاءٍ جسيمة يُمكن أنْ تؤدي لضياعِ الأمانة، فكيفَ نُفكّر بقديمِ الأثرِ في ظِلِّ جديد العِلم؟؟!

إنْ أردتِ التكفير عن ذنبكِ أُمّ نون؛ فعليكِ بنُصح صديقاتكِ ليفعلنَّ مِثلنا.

ثُمَّ حمل نون وأركبها السيّارة وذهب لفحصها، وبعد عودتهِ نَهَرَ زوجه: أريحي نفسكِ الآن أُمّ نون، فكدتِ قتلُ ابنتُكِ بصمتكِ على مرضٍ يأكل أمومتها، ويَشُلّ حركتها، وينسف حيويتها، ويُدّمّر خصوبتها، مرضٌ لا يعلمهُ الكثيرون ولا يكتشفونهُ مبّكرًا؛ لخُبثهِ ومكره.

أخبرتنا الطبيبة التي في المركز، بإصابة نون بمرض (بطانة الرحم المهاجرة) ونصحتنا بالذهاب للقاهرة؛ حيثُ الإمكانات والكفاءات والخِبرة.

أُمّ نون: ويلٌ لي ثُمَّ ويلٌ لي على ما فعلتُ بابنتي، يحيى أأعطتكم عنوانًا لنذهب إليه؟

يحيى: أجل، قالت لنا إنَّ دواء نون الآن في مُستشفى الأُمم؛ فبها كُلّ ما تحتاج إليهِ نون من أطباء، وأجهزةٍ حديثة وخبراتٍ وكفاءات؛ فهي صرحٌ عِلميٌ أوروبي ذو طابع مصرى، وبها قسمٌ للآنساتِ فلا تقلقي، وهيّا حزّمي أمتعتكما وسأذهب لتفقد السيّارة، فالأمل ينتظرنا بمُستشفى الأمم.

سخّرَ اللَّهُ لنا العِلم والتقنيات الحديثة لإفادتنا في حياتنا العِلمية والعملية، فلِمَ نُنكر وجودها؟ بإتباعنا لأخطاء الماضي ونحن في محطة الحاضر إنتظارًا للمُستقبل!

6_(كفاح أرملة)

يومٌ حزينٌ بالنسبةِ لها؛ يوم وفاة زوجها الغالي، حبيبها وصديقها ورفيق دربها وأبو أبنائها، تُوفي عنها في فترةٍ عصيبة من حياتها؛ فهي امرأةٌ شابّة في عِقدها الثالث، أُمٌّ لثمانيةِ أبناء، ليسَ لها عائل ولا مُساند، فماذا تفعل وهي مغلوبةٌ على أمرها؟

إلى أينَ تذهب بأبنائها؟

و إلى مَن ستذهب؟

فوّضتْ أمرها للّه _سُبحانَهُ وتعالى_ وأغلقتْ قلبها على جُرحها، وبدأتْ مرحلة جديدة من حياتها؛ مرحلة (كفاح أرملة) ظلّتْ ترعى أبنائها، بحنانِ الأُمّ وعطفِ الأبّ في آنٍ واحد؛ فكانتْ لهم نِعمَ الأُمّ والأبّ، وعندما كَبُرَ أكبرَ أولادها أوكلتْ إليهِ فِلاحة الأرض البسيطة التي تركها أباه، ظَلَّ الفتى يعمل في أرضهِ حتّى أحيا اللّهُ الأرض على يديه.

ابتاعتْ أُمّ الأيتام جزءًا من أرضها؛ كي تُزوج بناتها اللاتي بلغنَّ سِن الزواج.

قرر الابن الأكبر الذهاب للعمل خارج البلاد؛ كي يُعِدَّ نفسهُ للزواج، وأوكلَ الأرض لأخيهِ الأصغر، الذي كدَّ واجتهدَ فيها، وأطاعَ أمر أُمّه في شراء بعض المواشي.

وتمّر الأيَّام والسنون ويُرسل الابن الأكبر ما أدّخره من مال؛ ليُزوج بهِ شقيقهُ الأصغر، وبدأ من جديد يعمل ليُعِدَّ نفسهُ هو، حتّى أتَمَّ المال المطلوب للزواج ثُمَّ عاد إلى بلدهِ وتزوج.

وكَبُرَ أصغر الثمانية وذهب لخارج البلاد؛ للعمل ومن ثَمَّ تزويج نفسه وقد فعلَ وتزوج.

كافحتْ الأرملة أُمّ الأيتام؛ حتّى أتمّتْ رسالتها في الحياة على أكمل وجه، وما زالت تُكافح لأجل أحفادها؛ الذين عوّضها اللَّهُ بِهم عن تَرمُّلها وهي في ريعانِ شبابها.

هكذا تحلو الدُّنيا ،أنْ تعيشَ لغيرك؛ فحقًّا لا يستحق العيش مَن عاشَ لنفسه.

7_(الغُلام والنَّجمة)

في قديمِ الزمان وقبلَ اختراع الكهرُباء؛ حيثُ الظلام الدامس بإستثناء هذهِ القرية المُشّعة بالنوران، والفيّاضة على مَن حولها من القُرى بالنورِ والهِداية؛ نتيجة تنّصف نَّجمة لهذهِ القرية وبالقُربِ من أهلها ومَن اهتدى بها، حتّى ظنَّ النَّاس أنَّهم قادرونَ على الإمساكِ بها.

كانتْ النَّجمة وضَّاءة في عالَمٍ يسودهُ الظلام، مفخرةٌ للقرية التي هي بها والقُرى المُجاورة، ظلّتْ هكذا حتّى لاحظَ الغُلام أنَّ إضائتها تَخفُتْ شيئًا فشيئًا، فهرعَ إلى أهلِ القرية ليُخبرهم ولكنَّهم لا يُبالون؛ فكُلٌّ انشغل بحياتهِ لا يُريدُ أنْ يُلقي بالًا لأيّ شيءٍ حتّى وإنْ كانتْ النَّجمة التي تُضيء حياتهم.

ذهبَ الغُلام إلى جدّهِ مهمومًا فسألهُ الجدّ: ما بكَ يا ولدي؟

الغُلام: حزينٌ على أهلِ القرية وغضبانٌ منهم يا جدّي!

الجدّ: ولِمَ؟

الغُلام: حزينٌ عليهم لأنَّهم أهملوا النعمة التي مَنَّ اللَّهُ عليهم بها وفضّلهم بها على سائر القُرى، وغضبانٌ لأنَّهم لا يُلقونَ لي بالًا عندما أُحدّثهم بأنَّ ضوءها يَخفُتْ شيئًا فشيئًا.

الجدّ: لا إلهَ إلَّا اللَّه، وهل خَفَتَ ضوءها بُنيّ؟

الغُلام: أجل، جدّي وقد رأيتُ ذلكَ بعيني ولكنْ لا أحد ينتبه.

الجدّ: هَدئ من روعكَ بُنيّ، آهٍ يا ولدي ـسُبحانَ الحيّ الذي لا يموتـ فقد شاهدتُ هذهِ النّجمة مُذ كنتُ طفلًا وكانَ ضوءها شديدًا فظننتُ أنَّهُ لن يخفت أبدًا، فحدّثني جدّي إذ كنتُ يتيمًا كما أنتَ الآن وفي مِثل سِنّك: أي بُنيّ إنَّ اللَّهَ ـعزوجلـ خَلَقَ الخلق وقدّرَ الأقدار وجعل لكُلِّ شيءٍ نهاية، فهذهِ النَّجمة الوضَّاءة قد يَخفُتْ ضوءها نوعًا ما، وأرجو من اللَّهِ أنْ يحفظكَ بُنيّ ويرحمني إذ كُنتُ ميّتًا، بُنيّ عندما يَخفُتْ ضوء النَّجمة فأنظر إلى أفعالِ أهل القرية، فقاطعتُ جدّي حينها: وأهل القُرى المُجاورة؟

فقال جدّي: بُنيّ أهل القُرى المُجاورة وإنْ بَعُدتْ بِهم المسافات فإنَّ أفعالهم تُؤثر بالفِعلِ على ضوءِ النَّجمة، ولكنَّ الأهم والأَولى أهل القرية ذاتها، تذكّر بُنيّ الأَهم والأَولى مَن اِستثناهم اللَّهُ بهذهِ النَّجمة؛ فلا بُدَّ وأنْ يُحافِظوا على هذا التكريم الربَّاني، فقاطعتُهُ ثانيةً: جدّي وكيفَ يُحافِظوا عليه؟

الجدّ: جُزيتَ خيرًا بُنيّ عن هذا السؤال.

يُحافِظوا عليهِ من خلال إلتزامهم بأفعالهم وأقوالهم، والتشبُث بعوائدهم وتقاليدهم، وألَّا يُغيّروا مبادئهم وإنْ تغيرتْ الدُّنيا بأسرها لا القُرى المجاورة فقط، تذكّر هذا بُنيّ ولا تنساهُ أبدًا.

آهٍ يا بُنيّ فقد ذكّرتني بجدّي الغالي ـرِحِمَهُ اللَّه_ وهانذا وقد عِشتُ هذا اليوم الذي وصفهُ لي وكأنَّهُ معنا اليوم.

الغُلام: ماذا تعني بهذا الكلام أجبني يا جدّي أجبني؟

الجدّ: على رسلكِ بُنيّ، عليكَ بمُراقبةِ أفعال النَّاس وأقوالهم وانظر بُنيّ إنْ كانتْ قد تغيّرت مبادئهم، وتأمل النَّجمة حينها سترى الحقيقة بأُمّ عينك.

الغُلام: سأفعل ما أردتَ جدّي.

ذهب الغُلام إلى حيثُ النَّجمة فرأها وقد خفُتَ ضوءها أكثر ممّا كانتْ عليه، وقد شَعَرَ ببعض الظلام رُغم وجود النّجمة.

وفي الصباح شَرَعَ في مُراقبةِ أهل القرية فرأى منهم مَن ثَبُتَ على مبدئهِ في حين قد غيَّره غيره، ورأى مَن تجَّلدَ بغير جلدته، ورأى مَن بدَّل عوائده بعوائد غيره، ورأى منهم مَن.... ومَن..... ومَن.....

وتأمل النَّجمة فرأها وقد بَعُدَتْ عنهم وخفتَ ضوءها، فأخذ يُنادي: يا أهل القرية يا مَن فُضّلتم على غيركم بالنَّجمة.. يا أهل القرية هَلمَّ إليَّ.

فأجتمعَ النَّاس حولهُ وسأل سائلٌ منهم: ما الخطبُ يا غُلام؟

عَلاَمَ جمعتنا؟

الغُلام: عمَّاهُ قد بَعُدتْ النَّجمة وقد أنذرنا اللَّهُ _عزوجل _ بضوْها الخافت قبلَ أنْ تَبْعُدْ عنَّا ولكننا لم نتنبه.

السائل في لا مُبالاة: وما عسانا أنْ نفعل؟

الغُلام: بإمكانكم الكثير لتفعلوهُ فابدأوا ب..... السائل مُقاطعًا: تُكلّمُنا وكأنَّنا نَحنُ الذين خفتنا ضوءها، ليسَ هذا فحسب؛ بل وأبعدناها، زِنْ ما تقول أيُّها الغُلام.

الغُلام: أجل عمَّاهُ أنتم مَن فعلتم هذا بتغيير مبادئكم، وتبديل عوائدكم، وتَجَلُّدُكم بغير جلدتكم، وحقدكم على بعضكم وبُغضكم لبعضكم، وانتهاككم لحُرماتكم فيما بينكم ومِن ثَمَّ إبتعادكم عن منهج اللَّه، أليسَ ما فعلتموهُ ومازلتم تفعلونهُ كفيلًا أنْ يخفتَ ضوء النَّجمة ويبعدها، بل ويرفعها عنَّا رفعًا وهذا ما أخشاه؟

هاجَ أهل القرية على الغُلام وقال قائلهم: وماذا تُريدنا أنْ نفعل وقد تغيّرَ النَّاس حولنا؟

أكنتَ تُريدنا أنْ نظلَّ كما نحن؟

الغُلام: وما دخلكم بغيركم أنتم أنتم وهُم هُم، دعونا من الماضي، الآن يُمكنُنا أنْ نُعيد النَّجمة التى تُضيء حياتنا إلينا من جديد فما زالت الفرصة بأيدينا، لنبدأ بالتوبةِ عن ما لا يُرضي اللَّه، ولنُحافظ على مبادئنا ولنلتزم بعاداتنا الأصيلة وتقاليدنا النبيلة، ولنتصافى فيما بيننا،

وليُحافظ كلٌّ منَّا على حُرمةِ أخيهِ كحُرمتهِ لنفسه، ولنَصُن أعراضنا، وليَسُد السلام بيننا، ولتغمر المحبة قلوبنا، ولتغشى الرحمة صغارنا، وليكن الوقار هو أساس معاملتنا مع كبارنا إذا فعلنا هذا سنُصبح أُسوة يَقتدى بنا غيرنا لا نقتدي بغيرنا وإن كان أسوأً لا أُسوة.

هذي يدي فلنُعاهدُ اللَّهَ على ما نَوينا هيَّا أهل القرية فالوقتُ ليسَ كافيًا لنُضيع بعضه، هيَّا فاللَّهُ يُحِبُّ التوّابين، هيَّا لنُعيد النَّجمة قبلَ أنْ يَحِلَّ الظلام، تفرّقَ أهل القرية وتركوا الغُلام وحدهُ وذهبوا ليكيدوا لهُ المكائد.

ذهبَ الغُلام إلى جدّهِ فرأهُ يبكي بحسرة، فتخوف عليهِ وسأله: ما الخطبُ يا جدّي أجبني فقد أفزعني مشهدُك؟

الجدّ: أبكيكَ ولدي وبضعة قلبي وفلذة كبدي.

الغُلام في دهشة: أتبكيني وأنا معكَ وأجلس بجوارك جدّي؟!

الجدّ: أجل، فانتَ الآن معي أمَّا بعد ذلكَ فلا أدري أتكون معي أم لا؟؟

الغُلام: أتيتُكَ جدّي وقد ظننتُ أنَّكَ تُخفف عنّي ما لاقيتُ من أهل القرية، آآآهٍ ولكنْ أخبرني بما جعلكَ تُبكيني جدّي؟

الجدّ: رأيتُ جدّي وقد اكتسى بحُلّةٍ بيضاء، والماء يقطُر من لحيتهِ وقد أوقفك بجانبه، ونظر إليَّ قائلًا: أي بُنيّ، أتذكُرُ حديثي لكَ عن النَّجمة

ودعوتي بحفظِ اللَّهِ لكَ فأردفتُ: نعم جَدّ، فأكمل: أنتَ بضعة قلبي وهذا الغُلام بضعة قلبك، ودِّعهُ فسيجمعني اللَّهُ بهِ عمّا قريب، ولكَ الصّبر والإحتساب.

واستيقظتُ من نومي على هذهِ الرؤيا لعِدّةِ مرّات، فتيّقنتُ أنَّك ذاهبٌ فبكيتُ على الفراق.

الغُلام: هدئ من روعكَ جَدّ فأينَ أذهب وأتركك؟

أنا معكَ رُبما ما رأيتَ أضغاثُ أحلام، آهٍ يا جدّي على ما حدث اليوم!

الجدّ: وما الذي حدث؟

أخبرَ الغُلام جدّهُ بما حَدَثَ ففزع الجدّ وقال: إنَّها رؤيا وليستْ أضغاثُ أحلام، فما رأيتُ جدّي إلَّا وتحقق ما رأيت، إصغ إليَّ بُنيّ فإنَّي ناصحك: لا تُدهِن فهؤلاء خانوا ربَّهم إلَّا مَن رحم رَبّي، لا تُغيّر مبدئك مهما حَدَثَ لك، ولا تخفض صوت الحقّ ولو أعرضوا عنكَ أجمعين، ولا تقبل الهوان ولا تَرضى الذُلّ، وإيَّاكَ إيَّاكَ ثُمَّ إيَّاكَ أنْ تُغضِب الخالق إرضاءً للمخلوق "فلا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق".

بُنيّ إنَّكَ إنْ قُتِلتَ وأنتَ تُدافع عن الحقّ الذي هو اسم اللَّه مُطيعًا للَّهِ ولأمر سيدنا رسول اللَّهِ _صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ_ مُحافظًا على دينُك فأحتسبُك عند اللَّهِ عبدًا صالحًا.

قبَّلَ الغُلام رأس جدّهِ وذهب إلى منتصف القرية، وقد أتى الليل بسدولهِ ومازال ضوء النَّجمة خافتًا ونادى: يا أهل القرية يا مَن لم تَرضَونَ المكرمة، يا مَن رضيتم بالقِلة والذِلة والضعف والوان، يا مَن استقويتم على بعضكم، يا مَن انتهكتم حُرماتكم بذواتكم، ويا مَن دنَّستم أعراضكم، هَلمَّ إلى اللَّهِ قبلَ الحسرة الندامة، فجاء أهل القرية يشتاطونَ غضبًا وحِقدًا على الغُلام ظنَّ أنَّهم لبُّوا النداء فابتسمَ لهم، فلّما دنوا منهُ اختطفتهُ أيديهم وأبرحوهُ ضربًا حتّى الموت.

لم يتركوهُ إلَّا وهو غارقٌ في دمائهِ ولأوّل مرّة ينطفئ ضوء النَّجمة، بل وتُرفَع إلى السماءِ كما ارتفعتْ رَّوح الغُلام الزكية، ويُغشى الظلام الدامس القرية ومَن حولها.

ناداهم الغُلام الصالح كثيرًا ولكنْ "لقد اسمعتُ لو ناديتُ حيًّا ولكنْ لا حياةَ لمَن تُنادي"، أتتهم الإنذارات تلو الإنذارات لكنَّهم تجبَّروا وكبروا، وعاندوا وأصّروا على ما هُم فيهِ حتّى رُفعت النَّجمة، فأصبحوا كغيرهم دونَ إستثناءٍ أو تمييز؛ لأنَّهم أختاروا ذلك فحقًّا لا يدري قيمة النِعَم غيرُ فاقديها.

8_(صبَّارة)

تزوجتْ صبَّارة وهي في الرابعةِ عشرَ من عُمرها، تحمّلتْ مسؤولية زوجها وأُمّهِ وأخيه، مسؤولية تفوق عُمرها الصغير، ظلّتْ ترعاهُم حتّى زادتْ مسؤوليتها بإنجابها طفلتها الأولى؛ فكانتْ تجتهد في تربيتها بجانبِ رِعايةِ البيت بمَن فيه، كَبُرَتْ ابنتها وظلّتْ تُساعدها في عملِ البيت الشَّاق والمُتعِب، ظَلّتْ هكذا حتّى نَضَجَ جسدها فتزوجتْ كَسائرِ الفتيات.

كَبُرَ أخو الزوج وأنهى تعليمهُ ثُمَّ خَطَبَ مَن يُريد، فَرِحَتْ صبَّارة ظنًّا منها أنَّ زوجهُ القادمة ستُساعدها في عَملِ البيت، وتكون لها كَالأُختِ لأُختها، ولكنْ دائمًا ما تأتي الرياح بما لا تشتهي السُفن؛ فقد حَدَثَ عكسَ ما أرادتهُ تمامًا؛ فعندما تزوّجَ سلفها أخذتْ زوجهِ _شِبيهة الحيّة بفِكرها_ تكيد لهُ المكائد؛ كي تُفسِدَ عليها حياتها، ولكنَّ عِنايةُ اللَّهِ تفوق كُلّ شيء.

على أذانِ الفجر تستيقظ صبَّارة لتُصلّي ومِن ثَمَّ تقوم بعملِ البيت، ثُمَّ جَمعِ روث المواشي ووضعهِ في مكانٍ بعَينهِ شريطةَ أنْ تزورهُ الشَّمس؛ لتُجففهُ ويُستخدم فيما بعد كَنوعٍ من الوقود المحلّي البسيط (الجِلّة)، وبعدها تُعِدّ الإفطار لذاكَ البيت الكبير، ثُمَّ ترعى أبنائها وحماتها وتقوم على مُتطلبات زوجها، وقد حانَ موعد صّلاة الظُهر، ومازالت سلفتها

نائمة تستيقظ فقط لتتناول الطعام المُعَدّ من قبل، ثُمَّ تُحاول إيقاع الفتنة بينَ أبناء صبَّارة وتعود للنومِ مُجدّدًا.

ظلّتْ حياتها هكذا حتّى طلبتْ من حماتها مُشاركة سلفتها في عملِ البيت، ولكنَّها أبت؛ بحُجةِ أنَّ تُفاحة لم تُنجب بعد، إذن هي ليستْ مُكلّفة بخدمةِ غيرها، رفعتْ صبَّارة شِكايتها إلى اللَّهِ وفوّضتْ أمرها إليه، مُستعينةٌ بهِ سُبحانَهُ وتعالى على اِكمالِ رسالتها في الحياة.

سافرَ زوج صبَّارة إلى خارج البلاد؛ وبعد مرور بضعُ سنواتٍ ابتاعَ بيتًا يجمعهُ بها بمعيّةِ وأولادهما، دونَ مُصايقة من أحد، ولكنْ أنَّى لصبّارة من هذهِ الحيّة؛ التي حرّضتْ حماتها على زوج صبَّارة حتّى جعلتهُ يتنازل عن نصفِ بيتهِ لأخيهِ وزوجهِ تُفاحة.

لم تهنأ صبَّارة ببيتها؛ إذ أوقعتْ تُفاحة بينها وبين أخوات زوجها اللاتى قطعنَّ صِلتهنَّ بها، كنَّ يقطعنَّ وتصلُ هي، يُخاصمنَّ وتُصالِحُ هي،

يَشدُدنَّ وترخي هي، يعصينَّ اللَّهَ فيها وأولادها وتتقي اللَّهَ فيهنَّ، ظلّتْ هكذا حتّى أتمَّ اللَّهُ عليها نعمائهِ فزوّجتْ بناتها اللاتى عُيِّرتْ بهنَّ من ذي قبل، وعلّمت مَن اِستطاعتْ منهنَّ، كما دفعت بأولادها بعدما كَبَروا للعملِ في المِهنِ المُختلفة.

وبعد رحلةٍ طويلة من المشّقة والكفاح والعمل لأجل صبَّارة وأولادهِ ماتَ زوجها وهو عنها راضٍ، ولا زالت صبَّارة تُرّبّي أحفادها كما ربّتْ أبنائها من قبل.

هكذا يَسهُل الصعب بحُسنِ الظنِّ باللَّهِ، والتوكُّل عليهِ سبحانهُ وتعالى مع الأخذِ بالأسباب، والثِقة القوية بمُسبِّبِ الأسباب فهو على كُلّ شيءٍ قدير.

9_(**خادمة ولكن**)

في العهدِ المُنصرم من القرنِ الماضي، تركتْ بلدها بحثًا عن عملٍ لجني المال، فوجدتْ عملًا لدى وُجهاءٍ أثرياء لم تَكُن تحلُم أنْ تراهم مُجرد الرؤية.

نواااااال.

أمرُكِ سيدتي.

السيدة ندى: أقمتِ بتنظيفِ القصر، وطهو الطعام، وغسل الملابس وتجفيفها، ومن ثَم كيّها؟

نوال: أجل سيدتي.

السيدة ندى: والآن إليكِ مُحمّد نظّفيهِ وأبدلي ملابسهُ ثُمَّ أرضعيهِ وحاولي إنامته.

نوال: أمركِ سيدتي، ولكنَّهُ رضيعًا وهو أحوجُ إليكِ منّي؛ فحضنُكِ مرقدهُ وحنانكِ غطاؤه.

السيدة ندى: أعلمُ ذلك، لكنَّني مُتعبةٌ للغاية إثر وضعي لهُ منذُ أيَّام.

نوال: أمركِ سيدتي، ثُمَّ حَمَلتهُ وبَرَّكَتْ خشيةَ أنْ تُصيبهُ بعَينها، وبعدها ذهبتْ بهِ لغُرفتها.

وبعدَ دقائق تمّكنتْ نوال من إنامته، ثُمَّ عادتْ بهِ إلى حُجرةِ والدته، أتأذنينَ لي بالدخولِ سيدتي؟

السيدة ندى: الإذنُ لكِ نوال.

نوال: مساءُ الخيرِ سيدتي، ها قد نامَ مُحمّد وجِئتُ لأضعهُ في سريره.

السيدة ندى: نواال، وإنْ إستيقظ ليلًا؟

نوال: سأكونُ يَقِظَةً طوال الليل سيدتي.

وبعدَ ليلٍ طويلٍ لم تَنَم نوال إلَّا نصفه.. صباحُ الخيرِ سيدتي، أأُحضِرُ لكِ الإفطار؟

السيدة ندى: بالطبعِ ليسَ الآن، خُذي مُحمّدًا وأسكتيه.

نوال: ولكن سيدتي لديَّ الكثير من الأعمال اليوم.

السيدة ندى: نواال، مِن الآن فصاعدًا عملكِ هو تربية مُحمّد لا غيره.

نوال: أمرُكِ سيدتي.

السيدة ندى: سأُخبرُ سيدكِ ليأتِ لي بأُخرى تحلّ محلّكِ في أعمالِ القصر.

نوال: حسنًا سيدتي، كما تشاءين.

وبعد ساعة تقريبًا؛ سيدتي قد نامَ مُحمّد.

السيدة ندى: نوال، أنيميهِ في حُجرته، وضعي سريركِ هناك؛ كي تُراعيهِ ليلًا، ثم أتيني.

نوال: أمرُكِ سيدتي.

وبعدما نفّذت ما أُمِرَت به.

نوال: سيدتي، أتُريدينَ شيئًا؟

السيدة ندى بعدما تنّهدتْ: نوال أتعجبينَ من أمري؟!

نوال مُتلعثمة: سيدتي.....

قاطعتها السيدة ندى: لا عليكِ، تعلمينَ أنَّ سيدكِ أوجه الوجهاء، والنساء يتمنّينَّ رِضاه، فإنْ أشارَ بإصبعهِ أتتهُ مَن يُريد؛ لأسبابٍ كثيرة أبرزها المال.

ثُمَّ نهضتْ لتُردف: أتدرينَ كيفَ كانتْ حياتهُ قبلَ أنْ يتزوجني؟

كانَ هذا القصر مليءٌ بالجواري، لا أُبالغ إنْ قلتُ مِن مُعظمِ بُلدان العالَم.

ولكنْ حينَ تزوجني إشترطتُ عليهِ ألَّا يَكُن في القصرِ غيري، وأنْ تَكُن لي خادمة واحدة بجانبِ وصيفتي التى جاءت معي من قصرِ أبي، ففعل، وكنتِ أنتِ نوال، رُغم إختلافكِ عنّا في الثقافةِ واللُغة، مع مرورِ الوقت أصبحتِ تتحدّثينَ لُغتنا.

ما أودُّ قولهُ هو لا بُدَّ وأنْ يراني سيدكِ وتاجُ رأسي عبد الملك في أبهى صورة وفي أحلى حِلّة دائمًا، وحبيبي مُحمّد يُعيقني عن فِعلِ ذلك؛ فعندما يكبر سيتفهم موقفي.

ظلّتْ نوال تُربّي مُحمّدًا، تسهر إنْ تَعِب، تحزن حينَ يمرض، وتَسعد حينَ يفرح، وعلى الجانبِ الآخر، ظلّتْ سيدتها ندى تهتم بنفسها إلى أنْ كَبُرَ مُحمّد وبلغ السادسة من عُمره.

أُمّي.. أُمّي.

نوال: نعم، سيدي مُحمّد أتُريدُ شيئًا؟

مُحمّد: أُريدُ أنْ أُريكِ ما رسمتُ أُمّ مُحمّد.

نوال: أرينيهِ ولكنْ لا تَقُلْ أُمّ مُحمّد.

مُحمّد مُتعجبًا: ولِمَ، ألستِ بأُمّي؟

نوال: أجل، فلستُ سوى خادمةٌ تُربّيكَ وترعاك، والآن دعكَ من هذا الحديث، حينَ تَكبُر ستعلم.

مُحمّد: ما رأيُكِ في هذهِ الوردة الجميلة مثلكِ أُمّي؟

نوال: أنتَ أجملُ منها بُنيّ.

مُحمّد: خُذيها أُمّي فهي هديتُكِ.

نوال: شُكرًا لكَ ولدي، أحياكَ اللَّهُ لتُهديني المزيد.

السيدة ندى بعدما دلفتْ حُجرة نوال: أأنتَ هُنا بُنيّ؟

تفقدتُكَ في حُجرتكَ فلم أجدك.

مُحمّد: نعم، أنا هُنا سيدتي.

السيدة ندى في دهشةٍ مُبالغ فيها: ماذا.. ماذا تقول؟

سيدتُك، إنَّني أُمّك، ألم أنهكَ عن التفوّهِ بهذهِ الكلمة من قبل؟

لا تُردد ما تسمعهُ من الخدم.

نوال خُذيهِ إلى حُجرتهِ ثُمَّ عودي إليَّ.

نوال في خضوع: أمرُكِ سيدتي.

وبعدَ لحظات.

أمرُكِ سيدتي ها قد أتيت.

السيدة ندى: مَن تكونينَ يا نوال؟!

نوال في خضوعٍ تام: خادمتُكِ ورَهنُ إشارتُكِ سيدتي.

السيدة ندى: جيّد أنَّكِ تعلمينَ هذا، أوصلي هذا المعنى لمُحمّد، فلم يزل طفلًا ويبدو أنَّ الأمور قد اِلتبَستْ عليه.

نوال: أمرُكِ سيدتي.

السيدة ندى: إذن عليكِ الإنصراف.

مرّت الأعوام وأضحى مُحمّدًا طالِبًا جامعيًا راشدًا، وسيمًا ولَبِقًا.

أُمّ مُحمّدٍ باركي لمُحمّدٍ فقدَ نجح، وقَرُبَ أنْ يحصل على ليسانس الحقوق.

نوال بسعادة غامرة: مُباركٌ عليكَ بُنيّ، والعُقبى للشهادة.

السيدة ندى وقد أتتْ البهو على صوتيهما: لِمَ صوتُكما مرتفعًا؟

نوال: مُباركٌ لسيدتي وسيدي عبد الملك نجاح ولي العهد.

السيدة ندى: مباركٌ عليكَ بُنيّ.

ولكِ والدتي ولكِ أُمّي مُشيرًا لنوال.

السيدة ندى بغضبٍ شديد: أتقولُ للخادمة أُمّي، فمَن أكونُ أنا؟

مُحمّد : أنتِ أُمّي التي وضعتني، وهي أُمّي التي رّبّتني وسهرت لأجلي و.....

السيدة ندى مقاطعةً له: أُغرب عن وجهي الآن.

وأنتِ إلزمي حُجرتكِ.

نوال: أمرُكِ سيدتي.

ظلّتْ السيدة ندى تُفكّر ليلَ نهار في طريقةٍ لطردِ نوال من القصر؛ إلى أنْ أهداها عقلها لهذهِ الطريقة.

نواااال.

نوااااااال.

أمرُكِ سيدتي.

السيدة ندى: منذُ متى وأنتِ هُنا في القصر؟

نوال: منذُ ثلاثين عامًا.

السيدة ندى: يا للهول، ألم تُفكّري في العودةِ إلى أهلكِ؟

نوال: لا، فقد إتخذتكم سيدتي أهلًا لي.

السيدة ندى: أتفَّهمُ ما تقولي، ولكنْ عليكِ العودة إلى ذوي قُربتك، فقديمًا قالوا: "أهلك هُم أهلك ولو صرت على مَهلك"، فلِمَ لا تعودي وكفاكِ بُعدًا عنهم.

نوال: كيفَ لي بالعودةِ وترك مُحمّدًا وحده؟

السيدة ندى وقد غضبت: أجُننتِ؟

أنَّى لكِ هذا؟

نوال بعدما ذرفتْ جمر قلبها بعَينها: عُذرًا سيدتي.

السيدة ندى: صهٍ صه، حزِّمي أمتعتكِ فسوف تغادرين!

قد أوشكَ مُحمّدٌ على آل ليسانس، ومن ثَمَّ يتزوج من الأميرة ميم ابنةُ عمّه، ونَحنُ قد أعفيناكِ من الخدمة لكِبر سنّكِ؛ وقد إستبدلناكِ بمُديرةٍ أُخرى للقصر، والآن عليكِ العودة إلى حيثُ جِئتِ.

نوال بصوتٍ باكٍ عالٍ أسمعَ مُحمّدًا في مكتبه: سيدتي ترأفي بي؛ فقد قضيتُ في هذا القصر نصفُ عُمري، ومِن الصعبِ عليَّ تركككم والعودة إلى حيثُ جِئت، سيدتي أرجوكِ، أرجوكِ.

مُحمّد مُسرعًا من مكتبهِ المُطلّ على بهو القصر؛ حيثُ السيدة ندى وخادمتها نوال: ما الذي يَحدُث هُنا؟

وقد أقامَ نوال من جثوها أمامَ والدته.

مُحمّد بصوتٍ حزين: أُمّي، أُمّي، لِمَ تبكين؟

السيدة ندى بغضبٍ شديد: هي ليستْ أُمّك، بل أنا، وقد كَبُرَت وأعفيناها من الخدمة.

مُحمّد بصوتٍ مقهور وقد ضَمَّ نوال إلى صدره: نعم قد كَبُرَ سنّها وهي تسهرُ عليَّ وترعاني وتُرّبّيني، كَبُرَ سنّها وهي تُلاعبني وتتحمل لأجلي، وحانَ الوقت لأردَّ لها الجميل.

أُمّي نوال لن تعودَ إلى حيثُ جاءت ما دُمتُ حيًّا، أنتِ أُمّي بالوضع؛ فلم أشعر منكِ بالأُمّومةِ قط، ولم يغشاني حنانكِ كما فعلتَ هي، قد إستغنيتم عن خِدمتها ولم أستغني عن أُمّومتها.. كانتْ لكم خادمة ولي أُمًّا.

مريم توركان